أشـــكال التعبيـر فـــي الأدب الشعـــبي

بين ما يعرفه الباحث، وما يمارسه الفرد في المجتمع

Forms of expression in the folk literature between what the researcher knows, and what the individual in society practiced

أ.راضية عـــــداد
جامعة أم البواقي

ملخص البحث

يتلخص هدف هذا البحث في إبراز دور كل من الباحث في الأدب الشعبي والمالك له، أو صاحب هذا الأدب وهو كل فرد يحمل هذا التراث عن الأجيال السابقة و يحاول نقله إلى الأجيال القادمة، من خلال مقاربة تطبيقية على بعض أجناس من الأدب الشعبي الخاص بمنطقة أم البواقي بالشرق الجزائري.

Abstract

this research aims at highlighting the role of both the researcher and the owner of the folk literature, or the owner of this literature who is every individual who carries this heritage from previous generations and tries to move it on to future generations, through an approach applied on some species of folk literature of the area of Oum-Bouaki in the eastern part of Algeria.

Rèsumè

La littérature populaire et les formes d'expression
Ce que le chercheur sait et ce que l'individu pratique dans la société

Le but de cette recherche est de mettre en évidence le rôle du chercheur dans la littérature populaire et, à la fois, le propriétaire de cette littérature. Le propriétaire désigne chaque individu qui porte ce patrimoine des générations précédentes et qui s'occupe, en même temps, de le transmettre aux générations futures, à travers une approche appliquée sur certains genres littéraires populaires qui sont spécifiques à la région de Oum Lebouaghi dans l'Est Algérien.

المنارة للاستشارات

قد يتبين للقارئ في للوهلة الأولى أنّ الأدب الشعبي هو ملك لكل الناس، نعم هو ملك لكل الناس، لكن ليس كل مالك له يحس بالمسؤولية تجاهه، ويحاول الحفاظ عليه على الأقلّ في محيطه الخاص، من خلال الاستخدام المستمرّ والتداول المتزامن لكل أشكال التعبير الشعبية؛ مادية كانت أم قولية.

ولا يسعنا المقام هنا أن نشير إلى كلّ أشكال التعبير الشعبية، ولكن السياق -طبعا- سيسمح لنا بالإشارة إلى بعضها؛ لتوضيح وجهة النظر المطروحة، فأكثر ما آلمني خلال دراستي هذا التخصص هو عدم وعي مجموعة أفراد الشعب بقيمته، ففي حين تسعى كلّ الشعوب إلى إثبات ذاتها من خلال الاهتمام بالتراث الشعبي والفلكلور وهو ما يوضّحه عثمان الكعاك بقوله" ... لذلك قامت كل حركة قومية في أوروبا والشرق وأمريكا على دراسة الفولكلور، واعتباره المادة الأولى في تحرير القوانين، ومعرفة تاريخ الشعب، ودراسة فنونه المميزة له"[1] نجد أننا في مجتمعنا نتجاهل قيمته، بل نساهم بطريقة لاإرادية في اندثاره وموته.

غير أنّ جمالية التراث الشعبي تكمن في استمرارية التداول عليه، وكذا ضمان انتشاره كتجربة شعبية عامة تفيد كلّ من يرجع إليها في جميع مجالات الحياة.

ولعل من أصعب الأمور على الباحث- على حدّ رأي الدكتور محمد عيلان-[2] هو مواجهته لتراث حافل بشتى الفنون القولية، والأساليب البيانية، ضمن جهات متقاربة، وأهداف متباينة، ومضامين واحدة، تمثل مواجهة الإنسان للطبيعة، وصراعه معها من أجل الحياة، إذ نجد أن هذا التراث لا زال بذاكرة أناس تشغلهم الحياة اليومية، وتذهب بهم كل مذهب، مما يوفر عوامل النسيان وفقدان التذكر، وهذا ما يحدث فعلا لتراثنا الشعبي المنطوق في الجزائر، فقد أوشك أنْ يضيع كله بحكم الحياة المتطورة، وزيادة حاجة الناس إلى المادة، ولن نكون مغالين -حسب " محمد عيلان - إذا قلنا بأن الكثير من النصوص التي ابتدعتها الأجيال،

المنارة للاستشارات

لتعبر عن إحساسها وشعورها، وتشكل وعاءً لعاداتها وتقاليدها ومسارها في الحياة قد فُقِدت، ولا يخالف أي باحث في الدراسات الشعبية الدكتور محمد عيلان ومن يوالونه في أنّ فقدان التراث الشعبي بفقدان مصادره الشفوية والآثار والمخلفات من عادات وتقاليد قد يسهم في صعوبة ربط حلقات الوصل بين الأجيال، إذ ستفقد الأجيال الحالية روح الانتماء في الزمان والمكان للأجيال السابقة.

وحرصا مني -في محاولة متواضعة-على المساهمة في الحفاظ على مورثنا الشعبي، آثرت أنْ أشارك في هذا الملتقى بلمحة عن منطقة أم البواقي؛ كجزء من جزائرنا الغالية الزاخرة بتنوع ثقافي لا مثيل له، من حيث اللهجات والعادات والتقاليد والفنون القولية، من مثل ولغز وحكمة وخرافة، وحتى شعر وغناء ورقص.

وقبل كل هذا لا بأس بالتعريف بمنطقتي لمن لا يعرفها:

الموقع الجغرافي:

تقع ولاية أم البواقي شمال شرق الجزائر، تحتّل موقعا استراتيجيا مهما، بحيث تتوسّط عدّة ولايات، مشكلة همزة الوصل بينها، وهي: تبسة شرقا، قسنطينة غربا، قالمة شمالا، خنشلة وباتنة جنوبا، وكلّ من سوق اهراس في الجنوب الشّرقي وميلة في الجنوب الغربي.

يبلغ عدد سكانها حوالي (468000) نسمة موزعة على مساحة قدرها (6256 كم^2).

تتميّز بطابعها الزّراعي الرّعوي، والّذي تعتمد عليه في اقتصادها، إضافة إلى بعض الصّناعات النّسيجية والتّقليدية؛ كصناعة السّروج بعين فكرون.

تشتهر المنطقة بجبلها المشهور: "سيدي ارغيس"، أمّا التّسمية فاختلفت في شأنها الرّوايات: أمّا أم البواقي فنسبة -حسب ما يروى- أنّها امرأة بقيت من أهلها إثر حرب جرت بين الهلاليين وسكان المنطقة، فسميت المنطقة باسمها ـ والله أعلم في صحة الرواية ـ أمّا التسمية

المنارة للاستشارات

المشهورة في المنطقة، والّتي يتداولها سكان المنطقة هي: *Canrobert*[3] وهي التسمية الّتي أطلقها المستعمر على المنطقة حسب الجنرالات الّتي تتمركز في كلّ منطقة، وأردت أن أشير إلى بعض الرّوايات عن أسماء بعض الأماكن في المنطقة منها:

عن كلّ من: **عين البيضاء وواد نيني والضّلعة:** " كان في زمن بني هلال رجل اسمه "ذياب الهلايلي" وزوجته في طريقهما مسافرين فاعترض طريقهما عدو ذياب وهو: "رمضان بن شنلان" وهو من نفس قبيلته، فتقاتل الرّجلان، فطعن رمضان فرس ذياب واسمها"البيضا"ـ نسبة لبياضها وكانت عربية أصيلة، كما كانت مقرّبة جدا من صاحبها ـ فانقضّ عليه ذياب فقتله. ثمّ واصل الزّوجان الطّريق وذياب يحاول مؤانسة فرسه حتّى يصلوا إلى مكان آهل بالسّكان، وفجأة بدأت الفرس تضلع ـ فسميت المنطقة بذلك أي: الضلعةـ ثمّ بدأت الفرس تئنّ من الوجع عند واد صغير ـ وهو المسمّى حاليا بواد نيني ـ لتصل إلى منبع ماء عذب فتوقفوا عن المسير لتموت الفرس في هذه المنطقة ـ وهي ما يعرف حاليا بعين البيضاءـ."[4] أمّا" **مسكيانة** فنجد الأسطورة تحكي:" أنّ ملكا من بني هلال اسمه:"الملك بغاي" كان ذا سلطة وجاه ومال، وكانت له أربعة بنات: متّوسة، خنشلة، سكيكدة، ومسكيانة، وأنّ بناته كنّ على نفس ثرائه، وتتربّعن على أقاليم خصبة وغنية، وقد سميت هذه الأقاليم على أسماءهن. وهناك من يقول أنّ مسكيانة تحوير للكلمة الشّاوية:"أَمِّيس انْ كَهِينة" أي "ابن الكاهنة" وهي المنطقة الّتي توفي أحد أبناء الملكة الكاهنة والله أعلم"[5].

أم البواقي نبذة تاريخية[6]:

بناء على الدّراسات الأثرية، يعود استيطان المنطقة إلى فترة ما قبل التّاريخ، إلى حوالي(*8000*) ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد، وأدّلة ذلك البقايا الأثرية المتمثلة في "الحلزونيات": (*des escargotières*) المنتشرة في مناطق عديدة: عين مليلة، عين ببّوش، أم البواقي، عين البيضاء،

المنارة للاستشارات

الضّلعة ؛ إضافة إلى هذا تسجّل في الولاية فترة فجر التّاريخ بوضوح، ويبرزها موقع البناءات الجنائزية الموجودة بـ سيقوس والمعروف بـ(الدولمن).

عرفت المنطقة أيضا الخطوط العريضة للتّاريخ القديم باعتبارها منطقة تابعة لنوميديا، وأدلة التواجد الرّوماني البيزنطي متعددة، أهمها مواقع: الضلعة، قصر الصبيحي، سيقوس، سيلا، أم البواقي، أولاد قوتي ... وغيرها من المناطق الّتي وجدت بها فسيفساء الفصول الأربعة، و آثار أخرى.

خلال فترة الفتوحات الإسلامية، شهدت المنطقة العديد من المعارك بين الفاتحين وسكّان المنطقة الأصليين، نذكر منها معركة "واد مسكيانة" بين" القائدة الملكة الكاهنة" والفاتح "حسان بن النّعمان"، لتشهد المنطقة الجنوبية الشرقية للولاية موت الكاهنة سنة:807م بمنطقة واد نيني.

كما عرفت المنطقة معظم حركات التّحول الّتي عرفتها الخلافة الإسلامية بعواصمها الشرقية، أو دولها المحلية ببلاد الغرب.

وللمنطقة تاريخ خاص مع الهلاليين، الّذين لا تزال الذّاكرة الشّعبية تحفظ أحداثهم، وتجعل من بعضها أساطير؛ خاصة في مناطق: مسكيانة، الضلعة، وعين البيضاء.

خلال الحكم التركي خضعت المنطقة لقادة هذا الحكم، وكانت من المناطق الّتي تولّى حكمها العديد من الحكّام المعروفين، " كأحمد باي" الّذي تولّى ولاية "بايلك الشّرق" وبعد سقوط قسنطينة سنة:1837م، فرّ إلى المنطقة.

عرفت المنطقة ويلات الاستعمار الغاشم، مثلها مثل كلّ القطر الجزائري، والّذي حرم أبناءها من كلّ الخيرات، حيث جنّدوا إجباريا، وعملوا في حقولهم الّتي استولى عليها المعمّرون بما لا يسدّ رمقهم، عانوا المجاعة والأوبئة وغيرها من أنواع العذاب والمهانة.

المنارة للاستشارات

خلال ثورة التّحرير، كانت المنطقة همزة وصل بين الولاية الأولى والولاية الثانية، ورغم تضاريسها المفتوحة، إلاّ أنّها شهدت العديد من المعارك، وأنجبت العديد من الأبطال منهم: المجاهد الفذ: "العربي بن مهيدي".

بعد الاستقلال، شاركت المنطقة في النّهوض بالبلاد في كافة المجالات، وارتقت إلى مصاف الولايات إثر التّقسيم الإداري لسنة: 1974 م.

أم البواقي ثقافيا:

بحكم طبيعة المنطقة وانتمائها إلى الأوراس الكبير، تتميّز بعدة مميّزات يظهر فيها التأثّر بهذا الانتماء، في اللّباس والأكل والعادات والتّقاليد، فتنتشر في المنطقة ما يلي من مظاهر الثقافة الأمازيغية:

ـ لبس"الملحفة" وهو لباس يخصّ النسوة، ويتشكل من قطعتين؛ أمامية وخلفية تربط عند منطقة أعلى الكتف عن طريق " الخلالات" وهي نوع من الحلي المحلية، ويضاف للقطعتين " الكمام " وهي قطعة تغطي الذراعين، وتلبس تحت القطعتين "قندورة" خفيفة أو فستان بالمعنى الرّسمي؛ أمّا الرجل فيشتهر بلباس: "البرنوس" و"القشابية" و"الرّزة"، والأول معروف، وأمّا الثاني فهو نوع من اللّباس للشّتاء، يحاك بالوبر والصّوف، يغطّي كلّ الجسم، أمّا " الرّزة" فهي قطعة قماش طويلة تلف حول الرّأس، تحمي من أشعة الشّمس، وبرودة الجو.

ـ أمّا الأكلات الشّهيرة فهي خاصة: الكسكسي، وهو دقيق يمرّ بعدّة مراحل تحضير، ليطهى في الأخير على البخار، حتّى يصبح طريا، وتضاف عليه الخضروات والمرق. ثمّ " العيش بالخليع" والعيش هو مثل الكسكسي في التحضير، لكنّه أخشن بقليل منه، والخليع؛ هو لحم يشرّح ويضاف له الملح، ويترك في الشمس حتّى يصبح يابسا.

ـ وتشتهر المنطقة بالغناء الشاوي المعروف والمتميّز، وأهم ما يميّزه الآلات المصاحبة له وهي " القصبة والبندير"، وأمّا الأولى فهي من الآلات الهوائية، وهي قصبة طويلة تحمل فتحات صغيرة تساعد في إخراج الهواء

المنارة للاستشارات

عند العزف، مشكلا نغمة معينة، وأمّا البندير فهو "الدف" وهو ذو شكل دائري، يصنع بجلد العنزة، وهو يساعد في الإيقاع.

وأشهر روّاد الغناء الشّاوي هو الفنان:"عيسى الجرموني"، والّذي تفخر به المنطقة.

ـ أمّا الرّقص، فأشهر الرّقصات في المنطقة " رقصة طريق الخيل" وهي رقصة تؤديها نساء المنطقة ببراعة، وفيها تقلّد المرأة الفرس في رقصها، والأساس فيها تحريك الرّأس والرّجل؛ أمّا الرّجال فيشتهرون بالّقصة الجماعية:"التسباح" وهي أن تتقابل جماعتان -لا يهم العدد- وتؤدي أغاني فيها مدح الرّسول –ص- والصحابة، مع الذهاب والإياب حسب إرادة الجماعتان وتفاهمهما.

أهم خصائص اللّهجة العامية في المنطقة:

بالنّسبة للّهجة فهي لا تختلف كثيرا عن معظم المناطق، وأهم ما يمكن أن يلاحظ خاصة من حيث النّطق نختصره في هذه العجالة:

*حرف القاف ينطق: ڤ.

* حرف الجيم يقلب زايا: عجوز: عزوز، زواج: زواز، وكلمة زجاج تصبح: قزاز. وكلمة دجاجة تصبح: جاجة.

* ونلاحظ في منطقة أم البواقي، عندما يخاطب الرّجل تتستخدم تاء التأنيث كأن نقول: خرجتِ بدل خرجتْ والشائعة في باقي المناطق، وهذا من اللّهجة المحلية للمنطقة؛ ونجد بعض الخصائص اللهجية -إن صح القول- في مختلف جهات المنطقة، والّتي من خلالها يستطيع سكانها معرفة بعضهم البعض، ففي عين البيضاء يتكلّمون بالضّغط على "الظاء" وتضخيمها، ومنطقة مسكيانة تميل في نطقها لولاية تبسة، وأمّا كلّ من سيقوس وعين مليلة فتميلان إلى قسنطينة في النّطق.

ونلاحظ أيضا أنّ النّفي يتم بصيغة: ما + الفعل + ش وهي الصّيغة الشّائعة، وربّما تكون (ش) اختصارا لكلمة شيء، رغم أنّها لا تجوز أحيانا، مثل: ما خرجتش (لم أخرج) فلا تصلح أن تكون لم أخرج شيء.

المنارة للاستشارات

على العموم هذه لمحة وجيزة لأهمّ خصائص اللّهجة المحلية العامية العربية.

اللّهجة الأمازيغية (الشّاوية):

الملاحظ أنّ استعمال اللّهجة الشاوية بدأ ينحصر نطاقه، إن لم نقل أنّ استعمالها بدأ ينقص لينذرنا أنّها في طريق الزّوال، إن لم نحافظ عليها؛ فهناك بعض المناطق الّتي تخلت عنها مطلقا كعين البيضاء ومسكيانة وسيقوس، ما عدا بعض القرى التابعة لها. في حين نجد بعض المناطق ما زالت محافظة عليها بكلّ فخر، بل وتزيد تمسّكا بها يوما بعد يوم؛ كعين فكرون وعين كرشة؛ أين نجد أطفالا صغارا يتحكّمون بها ببراعة.

وبالنّسبة لي وبما أنّي من المنطقة أردت أن ألفت انتباه القارئ، أنّ النّاس في المنطقة تنازلوا عن لهجتهم إن صح قولي احتراما لمن يجالسهم ممّن لا يفهمونها، خاصة أنّ المنطقة شهدت في الفترة الأخيرة انفتاحا على ما جاورها من مناطق، فهناك من يدخل إليها بحكم العمل أو السكن، وحتّى سكانها يخرجون منها إلى مناطق أخرى للعمل أو حتّى الاستقرار، وهذا ما أدّى إلى تداول اللّهجة الشاوية في نطاق ضيّق، بين أفراد الأسرة الواحدة أو جماعة من يفهمها فقط، وبما أنّها لهجة وغير مدوّنة فكلّ هذا سيؤدّي لا محالة إلى اندثارها شيئا فشيئا، فمعظمنا -أي سكان المنطقة- نفهم الكلام ولا نستطيع الرّد باللّهجة الشاوية، ومن خلال تجربتي الفقيرة أستطيع أن أوجز أسباب هذا التّراجع في اللّهجة الشاوية إلى:

- نقص التخاطب بها.

- الالتفات إلى الدّراسات الأكاديمية الّتي تستعمل اللّغة العربية، والّتي أثرت على اللّهجة الشاوية، باتّساع رقعة التّخاطب بها على حساب اللّهجة الشاوية.

- عدم تلقينها لمن لا يتقنها من طرف الكبار والعارفين بها، و الّذين ساهموا بهذا الشكل في اندثارها.

المنارة للاستشارات

وهذا لم يمنع أنّ رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية السيد: "عبد العزيز بو تفليقة" أقرّ الأمازيغية لغة وطنية غير رسمية، إثر مراجعة دستور:10 أفريل 2002.

حضور الأدب الشعبي في المنطقة:

إنّ كلّ شبر من هذا العالم يحاول الحفاظ على تراثه، لما فيه من معالم قوية وثابتة لشخصيته، بحيث يعتبر التّراث الشعبي أصلا لكلّ الشعوب وجواز سفر لكلّ مسافر عبر بقاع المعمورة.

ومنطقة أم البواقي ـ كباقي المناطق ـ تشهد إحياء أو بالأحرى حياة جديدة للتراث الشعبي عامة، تترجمه مختلف التّظاهرات الثّقافية الّتي تقام فيها، ولست اعي أنّ الأدب الشعبي يلقى الاهتمام المطلوب به، بل على العكس فهو يفرض نفسه لا أكثر؛ أي أنّ الأمثال الشعبية تقال في كلّ المناسبات الّتي تتطلّب حضوره كشاهد، والحكايات الخرافية أيضا تحكى عند الطّلب أو إذا كانت هناك فرصة مواتية، وكذا الألغاز والنكت والّتي ترطّب الأجواء بين جماعات الأصدقاء وأيضا الأسر، لكنّ الاهتمام بكلّ هذا الموروث غير وارد؛ فلم أجد أيّ دليل مادي يثبّت هذا الموروث في كتب يستطيع أيّ باحث العودة إليها إذا احتاج إليها .

والملاحظ أنّ النّشاطات الثقافية المخلدة للتّراث الشعبي، بدأت تجد طريقها إلى المنطقة، فهناك مثلا: مهرجان "عيسى الجرموني" والّذي أقيم في السنوات الماضية تخليدا للأغنية الشاوية؛ كما تقام أيام أمازيغية كلّ سنة للتّعريف بالمنتوجات الّتي تخصّ التّراث من لباس وحرف وحلي .

والمشكلة الحقيقية الّتي تواجه الأدب الشعبي عندنا، هي عدم تدوين المادة الشعبية من أفواه من يحفظها قبل أن تتذكرهم المنية، خاصة أنّ هذه المادة تكون أكثر صدقا وحقيقة عند من هم كبار في السن، فهم يحفظون أقدم المرويات عكس صغار السن والّذين بطبيعة الحال يأخذون المادة باختصار ممّن هم أكبر منهم سنا: أبائهم وأجدادهم.

المنارة للاستشارات

ومن الجميل في هذا المجلس العلمي الثقافي أن تلتقي أشكال التعبير الشعبية في عرس حضاري لترسم خارطة الجزائر بألوان المناطق المشاركة فيه.

ولكي أعطي نظرة دقيقة عن الموروث الشعي في منطقتي سأشير إلى بعض أشكال التعبير الشعبية الأكثر انتشارا مع الإشارة إلى خصائصها الموضوعية والفنية.

نجد في المرتبة الأولى في الانتشار المثل الشعبي وهو خلاصة تجارب الشعوب والأمم ومكتبتهم التي يعودون إليها متى عجز لسان حالهم عن الاستفاضة في الوصف والكلام عن تجارب السالفين، فيأتي المثل ملخصا لها موجزا لفظا لثناياها- التجارب- المصيب معنا لفحواها، وبهذا يكون المثل نهاية البلاغة الشعبية بالنسبة للإنسان البسيط، فعملية الاختزال اللفظية ليس إلا دليلا على استيعاب الإنسان لمغزى تجاربه وقدرته على اختصارها في أقلّ كلامٍ ممكن، يصل إلى لفظتين على الأقل، إذ يعرفه الأستاذ أحمد أمين:

"نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكتابة ولا تكاد تخلو منه امة من الأمم، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب"[7] وللمثل خصائص فنية فجملها فيما يلي:

1. قصر جملة مع احتمال التركيب فيه أي جمع أكثر من جملة على أثناء يمكن أن تأخذ كل جزء على حدا وذلك تماشيا مع الموضوع وحاجتنا. ومثال ذلك:"الشركة هلكة ".
2. الجناس والسجع والذي يعطي جرسا داخليا يجعل من السهل حفظ الأمثال وترديدها. اللي يتزوجها على مالها يموت فقير، واللي يتزوجها على زينها يموت حقير، واللي يتزوجها على دينها يحبه ربي والنبي البشير.
3. ابتداؤه بلفظة "اللي" والتي يقابلها "من" في الفصحى فتكون الجملة مبتدئة بشرط م التي بغا الشبح ما يقول أح واللي بغال للّو يسهرلو

المنارة للاستشارات

ارتبط بجوابه ارتباطا وثيقا، فيكون جواب الشرط مرتبطا في تحقيقه بفعل الشرط.

أما من حيث المضمون فيتميز عموما بتماشي، موضوعاته مع الحياة اليومية للإنسان العادي حيث يتميز بالشعبية والتعليمية وكذا التعبير عن آمال وأحلام الشعبي بتعبير يرقى عن الكلام المألوف العادي.

مثال عن موضوع الطقس والفصول: في فرار تتلقح الأشجار، وتتزاوج الأطيار، وتظهر الحايلة من الاعشار.

أما عن خصائص الفصول: (فاكهة الشتاء نار، وفاكهة الربيع زرع ونوار، وفاكهة الصيف عمار وفاكهة الخريف ثمار، وفاكهة الدار صغار).

الأمثال المتأثرة بالدين والقضاء والقدر:

- تارك الصلاة: يقول باب الجامع مقفول.
- إذا عطاك العاطي ما تشقى ما تباطي.
- اجري يا صغري لكبري، واجري يا كبرى لقبري.

في المراة والزواج والأسرة:

- خوك خوك لا يغرك صاحبك.
- طبتك إذا طابت احصدها لايكلها هول من لهوال وبنتك إذا كبرت اعطيها من القيل والقال، ادي بنت عمك ولو بايرة، وادي الطريق المعلومة ولو دايرة واصحب الكلب وما تصحبش الدايرة.

وكل هذه الأمثال منتشرة في جميع أرجاء الوطن باختلاف اللفظ، لان المواضيع الاجتماعية والحياتية واحدة بين كل أفراد المجتمع، تبقى بعض الأمثال التي تعبر عن الفصول مثلا وطبيعة المناطق الثقافية هي ما يميز منطقة عن أخرى.

ثم نجد بالدرجة الثانية في الانتشار، حسب ما رايته هو النكتة، والتي تنتشر بشكل رهيب بين ثلل الأصحاب خاصة المراهقين، والذين يستنكرون بعض المظاهر الاجتماعية والسياسية والدينية، فينشرون النكت المختلفة، حسب السن والجنس، وعلى العموم نجد النكتة السياسية والجنسية هي الأكثر انتشارا، الاولى لأننا نحاول أن نفهم ما يدور

المنارة للاستشارات

في وطننا من أمور سياسية، فعندما تعجز عن تقبل الواقع السياسي وتلطيفا للأجواء تسخر من الوضع بترجمته إلى نكتٍ تعكس الوعي السياسي.

والثانية –الجنسية– وهي في الغالب تشكل تابوها في المجتمع، وتعكس درجة الوعي الجنسي فيه، هذا لأنّ الخوض في الموضوع صراحة أصبح شبه محرم، فترجم من خلال النكت ليعكس درجة دنيا من النضج، تترجمها جملة من المظاهر السّلبية في المجتمع تؤدي أحيانا إلى انتشارا ظواهر سلبية كالطلاق والزنا.

ثم إننا نجد اللغز الشعبي والحكاية الخرافية يأتيان بالتساوي في الدرجة الثالثة، فإذا غاب الأول حضرت الثانية، وهذا ما يستلزمه الشكلان من ظروف مواتية لحضورهما وهي: جماعة المتلقي والراوي.

أما اللغز فنجده يعكس نضجا فكريا عند العامة، حيث يقاس به درجة الذكاء والفطنة، وأغلب الألغاز في المنطقة تعكس جوها العام الريفي والزراعي، منها:

*حاجيتك ماجيتك ثلاثة وقوف ورابع يوف، والخامس يضرب ويشوف (الشكوى).

*حاجيتك ماجيتك بنت السلطان لابسة قفطان، شعرها حرير ولابسة المرجان. (المسطورة)

*حاجيتك ماجيتك قدُّو قد الفلوس يتذبح من زوز روس (الهندي)

*حاجيتك ماجيتك: قليل ومسكين، ساكن في بلاد الحايم، مبين وسبعين يوم هو هايم.(الجنين)

*على من حاجيتك. يسرح في الخلا ما هو معزة، يعوم في الماء ما هو حوته (فكرون).

*على من حاجيتك. على هاف هاف ما بين الجراف ما يتكلم ما يشتاق (الهوا).

*على من حاجيتك. عرصتي صرصة الذهب، إذا هزيتها ثقيلة عليّ، وإذا خليتها عزيزة عليَّ (الصلاة).

المنارة للاستشارات

*على من حاجيتك. تذبحي فيها وتبكي عليها (البصلة)

*على من حاجيتك.على صورنا بنيناه، وعليناه بتبانو عد النجوم ومتعدش بيبانو (القران الكريم).

كما أني وجدت بعض الألغاز التي تبدأ بـ: على عبد الصمد، وقد ذكر عثمان الكعاك ما يلي:"الأحاجي والخبو والطلاعة: وأكثرها المشتهر على لسان عبد الصمد فمن عبد الصمد يا ترى؟ علم الله"[8].

و بهذا علمت أن الإلغاز التي تبدأ بـــ " على عبد الصمد " لا تقتصر على الجزائر فقط بل نتجاوزها إلى تونس، وربما غيرها من البلدان، وهي كثيرة، ومثالها:

*على عبد الصمد جاء للطريق وصدّ (الفخ).

*على عبد الصمد قال كلمة وصدّ (السلام عليكم).

*على عبد الصمد يمشي ويتمدّ (الحنش).

*على عبد الصمد قال اصنتوا يا شهودي، شفت الحية تقعر في الكاف وإذا كذبت قطعوا زنودي (الضرسة).

كما يمكن الإشارة إلى بعض الألغاز بالشاوية منها:

*ثل غاوسة أو تسنش اسركاس (المرايا).

*غري ايشت نووما او جيحيت ربي (الرقاد).

*اميت قيتش واعديس كلبوز (القرعة).

مميزات اللغز:

لقد تميز اللغز الشعبي بعدة مميزات تتمثل فيما يلي:

أ-من حيث الشكل:

I -**البناء الهيكلي العام لنص اللغز:** ولقد جاء اللغز في شكله العام، ممثل في ثلاث عناصر أساسية:

1 -**مقدمة:** وهي افتتاحية اللغز، وهي عبارة عن دعوة وإعلان صريح للطرق الأخر لحل اللغز، بين صاحب اللغز من جهة والطرق الأخر المطالب بتفكيكه من جهة أخرى، أو كي يقال في العامية " فك

المنارة للاستشارات

المتحاجية" وقد يعتمد صاحب اللغز في افتتاحية اللغز بإبراز صراحته وقدرته الفنية، وقد يكون العكس في البعض الأخر، [9] مثال " أتي أسمو بالفاء والفاء ما فيه فله، البيبان مربوطة عليه وهو ****** في رحمة الله". (فلوس).

2 -**السؤال:** وهو أساس البنية التركيبة في اللغز، أو كما عبر عنه محمد السعيدي بقوله: "هو نص اللغز في حد ذاته" ويتركّب من عنصرين أساسين هما:

الموضوع: وهو السؤال المطروح للجواب، أو نواة التسوية.

الخطاب الإخباري الوصفي: وهي النواة الوصفية، أي[10] "ذكر بعض أوصاف" أو أخبار متعلقة بالموضوع، أو قد توحي بالموضوع...[11]، وقد يأتي اللغز في صيغة تساؤلية مثل: (ماهو-كيف-من-ما هي...)، وفي الغالب ما تغيب هذه الصيغة، لكن سياق الكلام يوحي بالتساؤل.

3 -**الجواب:** وعادة ما يكون في كلمة واحدة، وفي حين غموض الجواب غالبا ما يأتي على شكل عبارة توضح ذلك.

II -**الجمل القصيرة:** قد يكون اللغز في عبارة واحدة قصيرة تحتوي استعارات وكنايات تؤدي إلى الحلّ مباشرة، وفي بعض الأحيان نجده عبارة عن جمل قصيرة متقطعة.

III -**الموسيقى والإيقاع الداخلي الخفيف والسريع:** والذي أطلق عليه علماء البلاغة السجع، وهو ما يفضي على الأسلوب قوة فنية وجمالية من حيث الوقع الصوتي، وتسديد التأثير على النفس[12]، مثال: " قدوا قد المهراس، صوتوا صوت التراس"(سردوك).

المنارة للاستشارات

IV -**التلاعب الصوتي والصوتي:**[13]

VI-**الجناس:**[14]

ب- من حيث الموضوع المضمون:

1 -**استعارة:** اللغز في جوهره استعارة، وهي التي يوصفها صاحب اللغز بإدراك أوجه الشبه والاختلاف بين النص وحله، وهي ناتجة عن التقدم العقلي لهذا الشخص.[15]

2 -**الكناية:** مثل قولهم: بنت السلطان، لابسة قفطان، شعرها حرير لابسة مرجان. (مسطورة)- ذرى-

أفكار عميقة:

لغة اللغز: هي لغة حكماء النخبة، الذين يعيشون داخل مجتمع، وهي -بالتالي- تعبير عن عالمهم في لغة عادية، ولكنها مع ذلك تسموا إلى مستوى في؛ أي التعبير التصويري، وتمتاز هذه اللغة بالملامح الفنية والمعنوية، وهي التي تضفي على اللغز[16] صفة الغواية والمتعة.

عنصر الفكاهة:[17]

مثال:" راسوا فرطاس وكرشوا كزاس" (فقايع)

وكما سبقت الإشارة فإن الشكل الثاني وهو الحكاية الخرافية نجده ينتشر بشكل واسع عند النساء والشيوخ الكبار، لأنها نوع من أنواع الأساليب التربوية المنتشرة للتعليم والتأديب، وكذا لمقاربة المفاهيم عند الصغار والكبار، من خلال إدراج بعض الحكايات ذات النسيج الخيالي، لإيصال معانٍ يصعب التطرق إليها مباشرة، وأكثرها من حكايات الغول والجن، والتي تجد صدى واسعاً، بأسلوبها السردي الراقي، والذي يخضع لنفسية الراوي وقدرته على جذب الانتباه والتأثير في المتلقي، وحتى الإبهار، لتأتي حكايات الحيوان والسحر، لتخلق جوا من التقاطعات الإدراكية، والتي تجعل العقل الباطن يلغي المنطق، ويندمج في عوالم الخيال

المنارة للاستشارات

الجمعي، وربما تكون الحكاية الخرافية هي بقايا أساطير الأولين؛ لأنّ التوارث ضيع لنا المتن السردي للأسطورة، وأخضعها للتأليف الشخصي للرواة.

وبذلك تكون الأسطورة -ببساطة- حكاية تاريخية، لها علاقة بحياة وتاريخ شعب معين، أبطالها هم آلهة، وأنصاف الآلهة، أو بشرٌ عاديون ارتقوا إلى مستويات الآلهة.

وأما الأسطورة في الأنثربولوجيا (الأجناس البشرية) فهي حكاية خرافية وملحمية، تدخل في عداد التراث الثقافي لجماعات، تربطها علاقة مع تاريخ وظروف وجود هذه الجماعة.

وما يمكن الإشارة إليه في الممارسات الشعبية عندنا في المنطقة هو انتشار الأسطورة الطقوسية، والمتجسدة في عيد الخصب أو عيد الربيع: حيث يخرج الناس للاحتفال به، كل حسب طريقته، وعلى العموم فهي فترة للتزاوج والاختلاط بين الناس، والانفتاح على الآخرين، ولكي لا أطيل الكلام سأستشهد بممارسة أخرى تعطي بعدا عقائديا عميقا عندنا، وهي استعمال العصابة للتداوي، ومعرفة الأمراض ومسبباتها (التي تضعها المرأة على رأسها، وهي بطول المتر وعرض نصف متر) التي يحددون من خلالها مجموعة من الاحتمالات الدالة على المرض من جهة، والمعالج من جهة أخرى، بحيث تربط العصابة من طرفيها لتكون دائرة، وتكون مطوية بحيث تشبه الدائرة التي عرضها من 10 إلى 15 سم وقطرها 50سنتيما، بحسب طول العصابة، ثم تدار بطريقة عجلي سبع مرات، فإن جاءت في المغزل مثناة فإن لها معنى كذا، وإن جاءت حلقة فهي كذا، وإن سقطت نهائيا فهي كذا، وإن انعقدت فهي كذا.

والعصابة لا يستعملها أي شخص، بل لها مختصون في الكشف بها، ويغلب على مستعمليها النساء.

المنارة للاستشارات

الهوامش والمراجع المعتمـــــــدة

(1) عثمان الكعاك: التقاليد والعادات التونسية، الدار التونسية للنشر ط2، 1972. ص 18.

(2) كانت هذه الافكار ضمن مذكرة أعدها الدكتور محمد عيلان سنة 2003 لطلبة ماجستير الأدب الشعبي لطلبة قسنطينة عنوانها: مدخل إلى دراسة الأدب الشعبي الجزائري.

(3)http // alg .95.mb .com /services /communes.htm 1.

(4) للرّاوي: لعسكري حاج شريف 82 سنة عين البيضاء.

(5) www.aureschouia.free.fr. " lègende du roi baghai" version tirè de"revu africaine 1879.

(6) لقد استعنت في هذه اللّمحة بأرشيف مديرية الثقافة للولاية.

(7) أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1953، القاهرة ص 61.

(8) عثمان الكعاك: مرجع سابق، ص 70.

(9) ينظر: سعيدي محمد- الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1998- (ص103-104)

(10) المرجع السابق ص 105.

(11) المرجع السابق ص 105.

(12) عبد الملك مرتاض: الألغاز الشعبية الجزائرية: دراسة في الغاز الغرب الجزائري: ديوان المطبوعات الجزائرية 1982.

(13) نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار الغريب للطباعة والتوزيع القاهرة الصيغة (3) مزيدة ومنقحة ص20.

(14) المرجع السابق ص (98-98-191)

(15) المرجع السابق ص 98.

(16) المرجع السابق ص 9.

(17) المرجع السابق ص9.

المنارة للاستشارات